

السليقة عند العرب الحديثية

عبدالله كنوه
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بخلاف الامر الثاني الذى نتلمس بقاياها فى لغتنا العامية ولهجاتنا المختلفة ، والذى تسلسل عبر العصور وما يزال أثره محسوسا فيما نستحدثه من ألفاظ أو نقيسه من عبارات على ما رسخ فى نفوسنا وانطبع فى أذهاننا من رصيد لغوى ذى قواعد وأصول عربية لا جدال فيها ترجع تارة الى اصل الوضع وأخرى الى قاعدة الاشتقاق والتعريب وما كان من ذلك بسبيل .

فهذه اثاره من السليقة العربية لا تزال عند العرب المحدثين يتوارثونها خلفا عن سلف وجيلا عن جيل . يتصرفون بها فى لغتهم فيمدونها بما تحتاج اليه من كلمات معبرة وأسماء لمسميات جديدة فى دائرة معرفتهم الضيقة وعلى صعيد مدركاتهم الحسية والمعنوية المحدود . ولذلك نرى أن اللغة العامية ما فتئت تنمو وتزدهر الى جانب اللغة الفصحى ، وانها لم تقف قط عاجزة عن تسمية الادوات الجديدة ووضع المصطلحات الضرورية لمستحدثات الحضارة . فى حين كانت الفصحى منكشحة بانكماش المسؤولين عنها ومنزوية عن مجابهة الحياة المتجددة بما يلزمها من أوضاع ومصطلحات عديدة فى غير ما علم وفن .

وبالضرورة لم يكن عمل السليقة يتجاوز الحدود المرسومة للاجيال المتلاحقة التى انحصرت معارفها فى المظاهر الحضارية والوسائل المهنية مما قضت عليهم الحاجة الملحة باصطناعه ومزاويلته ، كما انه لم يكن مصيبا دائما ولا موافقا للقواعد والقياس . وعلّة ذلك

كان العرب الاولون يتكلمون اللغة العربية بالسليقة أى بالمران والتعود من غير تلقين ولا تعليم كما نتكلم نحن العامية اليوم ، فيقيمون بها السننهم وتنشأ عندهم ملكة التعبير عن الاغراض المختلفة بكلام عربى مبين ، الى أن جاء الاسلام وانتشرت دعوته فى الاقطار ، فاختلفوا بغيرهم من الامم والشعوب الاعجمية ، أى التى ليست بعربية فسرت العجمة الى لسانهم وظهر فيهم من يلتوى كلامه فيفهم غير ما يقصد كما حكوا عن ابنة أبى الاسود الرذولى التى أزدت ان تتعجب من شدة الحر فنقلت صيغة التعجب الى الاستفهام بمجرد اختلاف نطقها فى حركة الدال من الفتح الى اللضم فى جملة ما أشد الحر .

ولا تعنى السليقة ، ومعناها الطبيعية ، مجرد الاعراب ومراعاة قواعده عند الكلام فحسب ، وان كان الشاعر قد قال :

ولست بنجوى يلوك لسانه ولكن سليقى أقول فأعرب
ولكنها تعنى ايضا التصرف فى وجوه الكلام بالاشتقاق والتعريب والقياس على ما وضعته العرب وتكلمت به من صيغ وأساليب حتى ما يتعلق منها بالبلاغة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وهذا القدر هو الذى يهمنى فى هذا البحث ، فاننا لا ننسى أن ملكة الاعراب مما أمكن الاحتفاظ به أو استمرت مراعاته كلا أو بعضا بعد الصدر الاول الذى ظهرت فيه العجمة وشاع اللحن واضطر العرب الى وضع علم النحو للمحافظة على سلامة لغتهم واستقامة السننهم

ظاهرة . فان الحس اللغوي عند العامة لم يكن من القوة بحيث يتجنب الخطأ ويحتمى من الزلل . وقد اصطلحت عليه العوامل المختلفة من غلبة العجمة وهبوط المستوى الثقافي وانتشار الامية وسوى ذلك . فلا ينتظر أن يكون اقوى مما هو عليه . والسليقة مهما قويت وبسملت من العلل فلا بد لها من شنوذ وتمثر ، فان العرب العرباء أنفسهم قد خالفوا القياس وارتكبوا الشنوذ ، وهم وضعة اللغة ومهدوا سبيلها للناس . فكيفس العامة بعد عصور وأجيال من تراجع اللغة وتضوب معيها .

وهذه هي الامثلة تقدمها على حسب ما اتفق من غير مراعاة ترتيب ولا ملاحظة تصنيف . بحيث ان نتيجة البحث تستخلص منها مجتمعة من غير تفريق .

الفنان

أطلقه العرب الاولون على الحمار الوحشى لتفنه في العدو . ولكن هذا الاطلاق قد توحش مع حمار الوحش فلم يستعمل من عهد الاعشى ومن اليه من الشعراء المتقنين . وجاء العرب المحدثون فأطلقوه على الشخص الموهوب بهبة فنية من شعر أو تمثيل أو موسيقى ، وسار بهذا المعنى كل مسار . وقد توقف فيه كثير من الباحثين اللغويين أولا لانه لم يرد عن العرب الا بالمعنى السابق ، ورأينا كثيرا من الكتاب والادباء المحافظين يتجنبونه في تعبيرهم . فمنهم من يقول فنى ومنهم من يقول مفن . ولكن كثرة الاستعمال فرضته على الجميع ، لا سيما وهو مخرج على القواعد العربية أصبح تخريج فقد جعله المعجم الوسيط صيغة مبالغة من الفن ، ويمكن أن يكون من قبيل النسبة كالحنداء والبناء والعطاز ونحوها . ولا يخفى أن وزنه أكثر دوراناً على الألسنة من فنى ومفن . فضلا عن تخصيص فنى بالخبير فن صناعة أو علم . ولذلك تقبله الجمهور قبولا حسنا ولم يبع به بديلا . وقد أحسنت لجنة المعجم الوسيط أيضا احسان بادخاله للمعجم وعدم وضع أية علامة بازائه مما يدل على توليده أو سدونه لانه لفظ عربي أصيل .

القديس

هو مما بحث عنه فلم يوجد . والظاهر أن نصارى العرب هم الذين وضعوه ، لانه عندهم بمنزلة الولي عند المسلمين . وهو مأخوذ من القدس بمعنى الطهر والنزاهة . وقد ورد هذا الوزن في اللغة اسما وصفة

ولكن ان اخطأ العرب الاولون أو خالفوا القياس في كلمات معدودة . فان العرب المحدثين بالعكس من ذلك قد أخطأوا كثيرا ولم يصيبوا الا قليلا . ونحن هنا فسى هذه الكلمة سنوجه عنايتنا الى ما أصابوا فيه وأتوا به مطابقا للاصول من غير أن يكون مرجعهم في ذلك نحو ولا صرفا ولا استقراء لقاعدة من قواعد العلم ، وانما هو بقية من السليقة العربية ونزوع العرق بالقوم الى أصلهم الاصيل . كما يحدث أن تظهر بعض العلامات في المواليد الانسانية مما يرجع الى الخلق أو الشكل أو اللون الذي كان عليه أجدادهم السابقون بعامل الوراثة الذي أصبح قانونا علميا مسلما به من الجميع .

وقضية ذلك اننا نعتبر الكلمة التي من هذا القبيل عربية أصيلة يجب أن تأخذ طريقها الى المعجم العربي من غير توقف لتوفرها على المطلوب من موافقة القياس اللغوي وجريانها على السنة العموم بحكم أن واضعها قدر الحاجة الماسة اليها وسد بها فراغا كان الجميع يشعر به . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان ذلك يدل على أن السليقة العربية لم تمت . وانها بقليل من المعالجة التي لا تمنو تعميم التعليم ، وتبسيط قواعد اللغة ، ستنبعث من جديد . والفعالية التي كانت لها في امداد العامة وارفسادها بالابوضاع والمصطلحات الضرورية للتعبير صوابا أو خطأ . ستتحوّل الى تطوير الفصحى واغنائها بما هن في حاجة اليه من ذلك مع سلوك نهج الصواب في الغالب ااعم كما كان عليه الحال يوم كانت السليقة العربية باتمها لا تشكو ضعفا ولا انحلالا . وغنى عن البيان اننا سنعطى أمثلة ولا

الكسكاس

لم تقف السليقة عند العرب المحدثين على العمل في دائرة القواعد والقياس على الماثور من كلام العرب الاولين ، بل تخطت بالحدود وارتجلت كما كان هؤلاء يرتجلون في الزمن القديم . ومن ذلك هذا الوزن في الآلة . فكما أن القدماء وضعوا أسماء للآلة على غير الاوزان المعروفة كسيف وقلم وسكين ، كذلك وضع المتأخرون اسم الكسكاس للآلة التي يطبخ فيها الكسكس وليس لها عندنا اسم غيره .

انهم عرب المغرب ، وهم الذين يعتنون بما لا يعتنى غيرهم بهذا اللون من الطعام . وعندهم عرفه الناس . وبما أن طريقة طبخه خاصة ، لأنها في الحقيقة تبخير لا طبخ ، فإنها تحتاج الى هذه الآلة الخاصة وهي آنية تشبه المصفاة ذات تقرب في قعرها فتوضع على طنجرة غليانة وبداخلها الكسكاس الذي يتبخر بفعل غليان الطنجرة ويكون ذلك هو طبخه .

لا شك أنهم رأوا البربر يفعلون ذلك ، وسموهم يسمون هذه الآلة تسكسوت فعدلوا عن هذا الاسم الذي يحمل طابع البربرية وقالوا الكسكاس الذي هو من الاوزان العربية المألوفة . وقد قال علماؤنا من قبل بهذا الوزن البركار تعريفا لآلة الرسم المعروفة ، كما وجد له نظير جديد في الآلات الحديثة وهو التلفاز (ويخلق ما لا تعلمون) .

الثرار

لما يسمى بالفرنسية Cascade وهناك كلمة أخرى تدل عليه وهي الشلال ، وكلتاهما من عمل السليقة المحدثنة ونظن أن الثرار ، وإن لم تشتهر ، أوضح دلالة وأصح مأخذاً فإنها من ثر الماء ثرا وثرورا غزير وكثير ، وأما الشلال فهي من شلت العين اللمع أرسلته . والمراد ليس المفاضلة بين الكلمتين ، ولكن الإشارة الى أن السليقة حينما تلج عليها الحاجة الى التعبير فإنها تنطلق هنا وهناك ، وتنطق بالكلمة المطلوبة . ومن ثم يأتي الترادف في اللغة ، فان الجماعات البشرية

للدلالة على الكثرة ، فالاسم مثل هجير أى داب وعريس لموضع الاسد وبرنيق لضرب من الكبابة ، وفن المربرات سجيل ومريخ وقسيس . والصفة مثل الصديسق والسكيت والشيرير وهي فيه أكثر من الاسم . وعلى كل حال فالقديس لفظة محدثة ، وهي لا شك مقيسة على ما ورد من هذا الوزن . وإنما يبقى النظر في صحة هذا القياس . فابن دريد يقول في الجمهرة بعد سرده لكثير من مثل هذه الالفاظ كما نقل عنه السيوطي في المزمهر : وأعلم انه ليس لمولد أن يبنى فعيل الا ما بنته العرب وتكلمت به ، ولو أجز ذلك لقلب أكثر الكلام فلا تلتفت الى ما جاء على فعيل مما لم تسمعه الا أن يجيء فيه شعر فصيح ، ولكن المجمع الموقر ما أظنه يمانع في جواز القياس على هذا الوزن ، وقد أثبتت لجنة المجمع الوسيط كلمة القديس في المعجم بدون علامة مطلقا .

مزيمان

صيغة مبالغة من الزين مثل مفضال ومعطاء ومنحار . وهو يكثر في لسان أهل المغرب بمعنى حسن وجيد . ونرى كثيرا من اخواننا المشاركة يستغربه لاول مسا يسمعه وهو كما رأينا لا غرابة فيه ، واشتقاقه صحيح . وقد دخل الى اللغة الاسبانية بحكم المخالطة ، فكثيرا ما نسمعه من الاسبانيين الذين قطنوا المغرب وهم ينطقونه بنبرتهم (مسيان) والفرض من اثباته هنا هو التنبيه على عمل السليقة ، اذ كان هذا اللفظ من كلام العامة . وما زلت أذكر أحد رفقاء الطلب (I) ، وكان يتصاطى الادب ، حين نظم قصيدة في مدح بعض الرؤساء وتوقف في قافية بيت من ابياتها فقال لي ما قولك في كلمة شبيهة بالاسبانية وهي مزيان ؟ والبيت هو هذا :
واجعل قبولك مهراها وكفاءها

ان القبول من الرضى مزيان

فضحكت وضحك ثم عدل الى قوله :

ان القبول على الرضى عشوان

ولم تكن حينئذ بمثابة من ينظر في وجه اشتقاق الكلمة ومأخذها .

(I) هو الاديب المرحوم محمد بودقة

المنتشرة في الارض . ولو كانت من جنس واحد ،
لا ينتظر بعضها بعضا لسد مفارقة وكفاية حاجه .

والامثلة من هذا القبيل كثيرة ولكننا لا نحرص على
الاحصاء كما قلنا سابقا وانما نقرر بقاء السليقة
وعملها .

الطيارة

والطيارة مثال لما توفقت فيه السليقة اكثر من
توفيق الخبرة . فان الاقلام المثقفة جرت على استعمال
الطائرة ولا يكاد أحد يكتب الطائرة . وشركات الطيران
والصحف في اعلاناتها والاحصائيات الرسمية انما تعبر
بالطائرات ، وذلك وان يكن صحيحا الا ان احدا
لا يبتري في أن الطائرة التي تجرى على السنة الجماهير
أقوى دلالة وأكثر تعبيراً ، فانها تدل على الكثرة والمبالغة
بصيغتها في حين أن الطائرة انما تدل على مجرد الوصف .
وما أشبهها بالسيارة التي لم يقل فيها أحد السائرة
ولو قالها لما سارت ، فهل الفرق بين السير والطيران
في الاعتقاد والغرابية هو الذي جعل الادباء يقبلون في
الطائرة الوصف المجرد ولا يقبلون في السيارة الا صفة
المبالغة ؟

وآيا ما كان الامر فقد غلبت السليقة هنا الحيرة .
ودل ذلك على وجودها وعلى قوتها الكامنة في النفوس
التي لا تحتاج الا الى قليل من العناية لتنتقل حسا
لنفويا فعلا .

وما احراانا أن نعامل هذه الكلمة وما كان على غرارها
بما يعامل به السماع من التقديم على القياس ، لا سيما
وهي على ما بينا أكثر مطابقة لاعتبارات احوال
الاشتقاق ومقتضياته .

الفاظ للحياة العامة

الميزانية ، الاقتصاد ، الجريدة ، قلم التحرير ،
الجمعية ، الادارة ، المسرح ، التمثيلية ، المقهى ،
البلعب ، العمارة ، الشقة ، الكشافة ، الجواله ، طابع
البريد ، الخريطة الجغرافية ، الاستيناف ، المحامي ،
الكلية ، الجامعة ، المتحف ، هذه وغيرها مما يعد
بالمئات من الفاظ الحياة العامة ، كلها من عمل السليقة
عند العرب المحدثين ، وهي ما بين موضوع ابتداء للمعنى

الذي يدل عليه باشتقاق أو نسبة أو غير ذلك . وما
كان لفظا معلوما يدل على معنى عام فأشرب الدلالة على
المعنى الجديد وحمل عليها حملا وسار على السنة العموم
واستعمله الكتاب والشعراء والمؤلفون وأصبح من صميم
متن اللغة الذي لا غنى عنه لاحد . ومما لا شك فيه أن
هذه الالفاظ قد اشترك في وضعها أشخاص باعيانهم
من صحفيين وتراجمة وعلماء وهيئات لغوية مخصوصة .
ولكن الكثرة المتكاثرة منها انما هدبه الذوق انعام
والاستعمال الواسع النطاق بحيث ما استقر في وضع
القبول حتى جاز امتحانا عسيرا وخلف وراءه الكثير مما
لم يحصل على اجازة أنجماهير له وهذا هو عمل السليقة .
وهكذا كان الواضع العربي الاول يعمل ثم يتفسي
الجمهور عمله بالقبول او الرفض .

مصادر شتى

وضعت مصادر عديدة منذ فجر النهضة العربية ،
منها ما كان على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على نظرية
أو مذهب أو لمجرد التقوية كالتفوضوية والاشتراكية
والوصولية والانتهازية والفعالية والحساسية ، ومنها
ما كان اشتقاقا من الاسم الجامد قبل ان يفكر أحد
من المجمعين في ضرورة هذا الاشتقاق بل قبل أن يكون
هناك اى مجمع عربي . فقد كثر الكلام عن تتركيب
العناصر الذي كان يراد به ادماج الاقوام المتساكنين في
البلاد العثمانية ومنهم العرب في العنصر التركي وذلك
في مطلع القرن الحالى . ثم قيل على هذا النمط تصوير
الادب في مصر وسودنة : الادارة في السودان ، ومغربة
القضاء في المغرب . وقيل أيضا التأقلم والتطور
والاستغراب والاستشراق ، وهذه المصادر الاخيرة
وضعت لها كذلك أفعال . وبعض هذه الالواضع ما زال
لم يخضع للبحث المجمعى ولا وضع تحت انظار حراس
اللغة الخالدين ، مما يؤيد رأينا في السليقة وعملها
الذي لم ينقطع قط وربما سبق عمل الخبرة ورب
للتكثير .

أفعال من الاسم الجامد

قالوا تأقلم وتطور واستغرب واستشرق من الاقليم
والطور والغرب والشرق بالمعاني المعروفة . وقالوا حج

الإبدال والاتباع

كما أبدلت العرب قديما بعض الحروف من بعض فان العرب المحدثين فعلوا ذلك ايضا بسليقتهم فقالوا فلطة في فلتة وغلبت على لسان عسرب المغرب بمعنى الخطأ المشنيع ، وبعضهم يظن انيا مأخوذة عن الاسبان وليس كذلك فان ابدال الطاء من التاء معروف في اللغة العربية حتى ان العرب تقول في المعنى الذي نحن بصدده غلط وغلط . وقالوا وذن في أذن وأهمزة اذا كانت في الصدر وهي مكسورة أو مضمومة تبدل واوا . وقالوا الكحط في القحط بل انهم لا ينطقونه الا بالكاف وهو وارد . والاتباع من سنن العرب في كلامها يجعلونه تأكيدا واتباعا . ومنه عند العرب المحدثين قولهم جاء قبل الحين والصالحين زواجوا بين الكلمتين ولاحظوا في الثانية من غير شك ان الصالحين من أهل الزمن السابق فمن يجيء قبلهم يكون مجيئه قبل حينه . ومنه قولهم الجوع والنوع والبكا بلا دموع الكلمتان اللتان وقع فيهما الاتباع هما من قول العرب جائع نائع . ومنه قولهم السخبط والنخط . النخط : المخاط الذي يسيل من الانف وهو ما يتسخط . ومنه قولهم الوسخ والمسوخ والمناسبة المعنوية بينهما ظاهرة . أما في اللفظ فان الروى واحد واذا سكن السين من الوسخ كما ينطقون به يكون الوزن أيضا واحدا . ومنه قولهم في الفعل خلط وجلط والتجليط بهذا المعنى غير معروف ولكنه شاع الآن واستعملت من مادته الجلطة الدموية فلعل له أصلا بقي محفوظا في الالسنة ولسم تشبته المعاجم . والامر هنا على كل حال اتباع فلا يشترط فيه أن يدل على تمام معنى الكلمة الاولى .

أمثلة أخرى

ومن بقايا السليقة قولهم في تصغير السوق والندار والقدر والاذن والعين والشمس وغيرها سوقة ودويرة وقديرة ووذينة وعوينة وشمسية على القاعدة المقررة من الحاق التاء بالثلاثي المؤنث عند التصغير ، وابدالهم الواو من الياء في تصغير العين لعله لكراحتهم الجمع بين ياءين متتاليتين . واذا كنا نحن ما زلنا نتردد في استعمال كلمة تقييم لمحا لاصلها الواوى فانهم بعكس ذلك يتصرفون كما تملى عليهم الحاجة والحس اللغوى

وزار وخلل وقدس بمعنى زار الخليل والقدس بعد ما حج الى مكة المكرمة وزار المدينة المنورة . وكانهم لسان قائلوا حج وزار وحذفوا المفعول للعلم به هنا لان الحج لا يكون الا لمكة المكرمة والزيارة لا تكون الا للمدينة . شعروا بالحاجة الى ما يؤدي المراد من زيارة الخليل والقدس فاشتقوا الفعلين المذكورين من اسمى هذين المكانين لما في ذلك من الاختصار وعدم اعادة فعل زار والياتيان بالخليل والقدس بعده ، وهذا من المقاصد البلاغية . ويقولون في أحد الامتال المغربية : اذا خلجت عسلت يعنون أن الارض اذا صارت خلجانا من كثرة المطر أنبتت العسلوج بكثرة . والمراد بالعسلوج هنا الكلال . والمثل من اقوال الفلاحين . فاستحدثوا فعلا من الخليج وآخر من العسلوج . وأغرب من ذلك أنهم أخذوا فعلا من السفظ وضمنوه معنى الارسال فقالوا سفظت له وسفظ لى اى ارسلت له الشيء أو ارسله الى ، ولا شك أنهم كانوا يقولونه في الاول على الشيء المرسل في سفظ كالسلمعة انتى تستوجب الحفظ ثم توسعوا فيه بعد فاطنقوه على الارسال مطلقا . وانما نبهت على هذه الكلمة بعينها لغرابية توجيهها . وهي ترينا الى أى حد تنصرف السليقة عند العرب المحدثين .

وقالوا معنى على وهو يعنى من المعنى اذا عرض له في الكلام . وقالوا تلبأ الطيخ وهو ملين اذا خثر من اللبأ الذي هو اول اللبن ويكون خائرا . وقالوا قيسر الشيء اذا أتلفه أو غاب عليه كأنه أدخله القبر وفي القرآن الكريم ثم أماته فاقبره . ولكن هذه حقيقة وتلك مجاز . وقالوا البوجادى أخذا من مركب وهو أبو جاد الذي تنسب اليه حروف الهجاء المستعملة في حساب الجمل وأرادوا به المبتدىء القليل العلم كأنه لا يزال في مرحلة التعليم الاولى . وقالوا التصيين من الصابون وصين ثيابه وهو صبان وأخيرا أطلقوا على محل التصيين مصينة . وهذا الباب طويل جدا فخلتكتف منه بهذا القدر . وعلى كل حال فان السليقة لم تتوقف فيه توقف الحبرة وان كانت هي مثلما تشترط الخبرة لم تستعمل الا بمقدار .

السليم . وأمثلة هذا الباب كثيرة ، وإنما ذكرنا منها ما يلفت إليه النظر .

نكتة بلاغية

قد يكون في استعمال ضمير الجماعة للمتكلم المفرد ما يشعر بالتواضع خلاف المعهود من أنه يكون لتعظيم النفس . وذلك كما في قول القائل مثلا : ونحن لا نرى هذا الرأي ، ألا ترى ما في قوله لو أفرد : وأنا لا أرى هذا الرأي من الدعوى التي هي سبيل التعاطف ؟ . وهنا ما جرت عليه أساليب العرب المحدثين فيقولون مثلا تجيء عندنا ونزورك فتكون مقبولة أكثر من تجيء عندي وأزورك كأنهم يستشعرون أن المتكلم لما اعتضد بغيره برىء من الانانية وأن توجيه الدعوة إلى المخاطب باسم جماعة أبلغ في الاهتمام به . وهكذا ينعكس بهذه الملاحظة ما قرر من أن المعظم نفسه هو الذي يستعمل ضمير الجماعة المتكلمين . وهي نكتة بلاغية نأخذها من تتبع الأساليب الكلامية عند العرب المحدثين ونستدل بها على إثارة من سليقة عربية مصقولة لا تزال تبدع وتجيد . على أننا إذا أمعنا النظر في أساليب الكلام الفصيح وتنوعها سواء في الكتابة أو الخطابة نجد أن هذا المعنى ملحوظ عند البلغاء ، فكثيرا ما نجدهم يعبرون تارة بضمير الأفراد وتارة بضمير الجمع كما يقتضيه موضع التعبير في الجملة من الاتيان بهذا الضمير أو ذلك ، ولكن لم يقع النص صراحة على هذا القدر . بل ترك لإدراك النوق السليم .

ومن المعلوم أننا اليوم كثيرا ما نستعمل ضمير الجمع في الخطاب تعظيما للمخاطب وهو أدب جديد

دخل على لغة الحوار ولم يكن العرب يستعملونه قبل إلا قليلا حتى أنه لم يجيء في القرآن إلا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى (حتى إذا جاء أحلهم الموت قال رب ارجعوني) ومع ملاحظة هذا الأدب فإن النكتة التي نبهنا عليها لم تضعف بل بقيت مرعية فيه فيقال تعيثون عندنا ونزوركم ، ولا يكون في ذلك تعاطف من المتكلم بل تعظيم للمخاطب .

هذا عمل السليقة وأثرها في لساننا العربي المبين حتى بعد أن ضعفت الملكات وسادت العجمة . وإذا كنا قد جلينا بعض مظاهر الحس اللغوي أو ما بقى من السليقة عند العرب المحدثين . في هذه الكلمة المختصرة فإننا نشعر أن الموضوع قابل للتوسع ، وإن التوفر على استيعابه يقضى إلى نتائج مهمة فيما نرمى إليه من إعادة الاعتبار إلى بعض الكلمات التي كانت من وضع العامة لا سيما ما وافق القياس منها فنفسح لها الطريق إلى معاجنا ونضع بذلك حدا لهذه الجفوة الحاصلة بين العامة والفصحى ، تحسينا للظن بهيئتنا الشعب العربي النبيل الذي ما زال يحتفظ بكثير من خصائص أجداده الكرام وما لفته العامية هذه إلا بنت للفصحى يجب تعهدها بالتهذيب والتنقيح لتقرب من مستوى الفصاحة وتلحق بنسب أمها الرموم . ونحن مهما وثقنا به واعتمدنا على عروبته في الأخذ بما صح من كلامه فإننا نرجع إليه حيويته ونقوى معنويته ونجمله ينطلق إلى الغايات البعيدة في أعمال البعث والتجديد في هذا الميدان وفي جميع ميادين الحياة الأخرى . وما ذلك على همته العالية بعزير .

عبد الله كنون